

## بحثاً عن النور

علي الكوراني

لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولا بدّ له  
في غيبته من عزلة، ونعم المنزل  
طيبة، وما بثلاثين من وحشة».  
مسألة هذه الضخامة، كيف لا  
تشغل الفكر والحواس؟!  
نور الله في أرضه وحقته على  
عباده.. يسكن في هذا البلد الذي نحن  
فيه، ولا نبحت عنه، أو عن أثارة منه  
أما قرأت قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِهِ  
كَمِشْكَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي  
زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ

في طريقنا إلى البقيع سألني رفيقي  
مرضى:  
- ما لي أراك ساكناً متفكراً كأنك  
في عالم آخر... هل حدث لك شيء؟!  
- لم يحدث لي شيء، وكأني لست  
أهلاً لأن يحدث لي شيء.. أو أجد ربح  
يوسف...  
هل نسيت أننا في مدينة  
الرسول، وأنها مسكن صاحب الأمر،  
أرواحنا فداه؟!  
لقد شغل فكري حديث عن  
الإمام الصادق عليه السلام يقول: «لا بدّ

البيوت، وأنها بيوت الأنبياء والأئمة؟!  
يقول السيوطي في الدر  
المنثور: (٢)

«وأخرج ابن مردويه عن أنس  
ابن مالك وبريدة قال: قرأ  
رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿فِي بَيْوتِ  
أُذُنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعُ﴾ فقام إليه رجل  
فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟  
قال: بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر  
فقال: يا رسول الله، هذا البيت  
منها - لبيت علي وفاطمة -؟ قال: نعم  
من أفاضلها!»

وكيف نقنع بتفسير المفسرين  
لهذه البيوت بأنها المساجد، وبأن  
مشكاة نور الله في الأرض هي قناديل  
المساجد التي يضيؤها الناس بالشمع،  
والنفت، والكهرباء؟!

ألا ترى أن مطلع الآية ﴿اللَّهُ نُورُ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يمهّد للمسألة  
ويُلخّصها كلّها.. فهو - عز وجل - نور  
خلق السماوات والأرض.. ونور  
استمرار وجودها وحياتها.. ونور كل  
شيءٍ فيها.. وله في كلّ عصر نور في

يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا  
شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء  
ولو لم تمسه نار نوراً على نور  
يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب  
الله الأمثال للناس والله بكلّ شيء  
عليم ● في بيوت أذن الله أن ترفع  
ويذكر فيها اسمه يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا  
بِالْغَدُوِّ وَالْآصَالِ ● رجال لا تلهيهم  
تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام  
الصلاة وإيتاء الزكاة...؟ (١).

يعني أن لنوره - عز وجل -  
مركزاً في الأرض، وأنه مثل المشكاة،  
وأنه - تعالى - يضرب هذا المثل للناس  
الساكين على هذه الأرض!!  
فأين هو هذا النور الإلهي،  
والمشكاة والمصباح المتوقّد؟..

كيف يمكننا أن نقبل أقوال  
المفسرين بأن الآية التي بعدها: ﴿فِي  
بَيْوتِ أُذُنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعُ﴾ لا علاقة لها  
بآية النور، ونغمض عيوننا عن  
الحديث النبوي الذي نرويه عن أهل  
البيت ﷺ، ويرويه السيوطي والثعلبي  
بأن هذا النور الإلهي موجود في هذه

- بل أقول: إنَّ الله مصباحاً في أرضه هو مركز نوره، ولا شكَّ في أنَّه كان متمثلاً بالنبيِّ ﷺ، وكان له دوره في إشعاع النور الإلهي، ودوره في فيض العطاء الإلهي أكثر من تصوُّرنا العادي ..

ثمَّ لا شكَّ في أنَّ هذا المصباح تمثل من بعده بعليٍّ والأئمَّة من ولده ﷺ ضمن الحدود التي أخبر بها رسول الله ﷺ ..

أما فهتم من سؤال أبي بكر للنبي أنه أراد أن يعرف أن بيت عليٍّ وفاطمة - الذي يؤكد الرسول دائماً أنه بيته، وأنَّ أهله هم أهل بيته - هل هو من بيوت الأنبياء ومراكز النور الإلهي؟ فأجابه النبيُّ ﷺ: بأنه ليس فقط جزءاً منها بل هو من البيوت المميّزة فيها!!

أما قرأت سورة القدر وملائكتها المنزلة في كلِّ عام بكلِّ أمر..؟

أما تأملت في هذا التعميم؟!  
إنَّ مقام نبيِّنا ومقام أوصيائه يا

الأرض أشبه ما يكون بالمصباح في المشكاة، يهدي إليه من يشاء .. وهذا هو مضمون الحديث المتواتر: «إنَّ الله - تعالى - لا يخلي أرضه من حجّة، إمّا ظاهراً مشهوداً، أو خائفاً مغموراً».

\*\*\*

وبعد الزيارة، اقترح صاحبي أن نجلس عند جدار البقيع، ونكمل حديثنا عن الإمام المهدي ﷺ، فجلسنا، وقال:

- أتعني: أنَّ الإمام المهدي ﷺ هو في عصرنا مركز النور الإلهي في آية النور؟

- يا صاحبي إنَّ مقتضى قوله «مثل نوره كمشكاة» أن هذه المشكاة موجودة دائماً في الأرض، لأنَّه كلام مطلق من حيث الوقت وليس مقيداً بزمان، والحديث النبوي الذي رواه السيوطي صريح في ذلك.

- أقول: إنَّ الأفعال الإلهية في الأرض والناس تتمُّ بواسطة الإمام المهدي ﷺ؟!!

المتكلم والغائب فقط، ولم يسندها بصيغة المفرد مثل: بَشَرْنَا، أَرْسَلْنَا، صَوَّرْنَا، رَزَقْنَا، بَيَّنَّا.. الخ. ولم يقل بَشَّرْتُ أو رَزَقْتُ.. الخ.

أشعر بأنَّ في الأمر قاعدة، فإنَّ كلمات القرآن وحروفه موضوعة في مواضعها بموجب حسابات وقواعد دقيقة، كما وضعت النجوم في مواضعها ومداراتها في الكون ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم • وإنه لقسّم لو تعلمون عظيم • إنّه لقرآن كريم﴾<sup>(٣)</sup>.

ولكن استكشافنا للقاعدة في استعمال الفعل سيبقى ظنياً وتخمينياً؛ لأننا محرومون من الذي عنده علم الكتاب روي في الاحتجاج أنّ شخصاً

جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض؛ لدخلت في دينكم! فقال له عليه السلام: وما هو؟ فقال:

(... أجد الله يقول: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾، وفي موضع يقول: ﴿الله يتوفى الأنفس

صاحبي أعظم مما نتصوّر، وأنواع الأفعال الإلهية أكثر مما نتصوّر، فمنها ما يفعله الله - تعالى - مباشرة، ومنها ما يفعله بواسطة ملائكته وأنبيائه، أو بواسطة من يشاء من خلقه!

ولعلنا نستطيع أن نجد أضواء على أنواع الفعل الإلهي وقوانينه من القرآن، من نسبة الفعل إلى الله - تعالى - بصيغة المفرد المتكلم، أو بصيغة الجمع، أو بصيغة الغائب..

إنّ دراسة الأفعال المسندة إلى الله - تعالى - في القرآن، عن طريق إحصائها وتقسيمها وتحليلها، سيعطينا أضواء هامة على أنواع الفعل الإلهي ووسائله.. إنك تشعر أن في صيغ الفعل الإلهي في القرآن هدفاً، وأن وراءها قاعدة..

مثلاً بعض الأفعال أسندها - عز وجل - إلى نفسه بصيغة المفرد المتكلم، وبصيغة جمع المتكلم، وبصيغة المفرد الغائب، مثل: أوحيت، أوحينا، نوحى، أوحى..

وبعضها أسندها بصيغة جمع

كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النقمة، وملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة يصدر عن أمره، وفعلمهم فعله، وكل ما يأتون به منسوب إليه، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت، وفعل ملك الموت فعل الله؛ لأنه يتوفى الأنفس على يد من يشاء، ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء، وإن فعل أمنائه فعله).

\* \* \*

قال صاحبي:

- أعتقد بأن الأنبياء والأئمة مضافاً إلى دورهم في التبليغ والهداية، لهم دور في الفعل الإلهي في الطبيعة والأشخاص والمجتمعات؟  
- لا بد لنا من الاعتقاد بذلك، لأن الآيات تدل عليه، والأحاديث والسيرة صريحة فيه.. أما حدود هذا الدور وتفاصيله فلا نعرفها، والظاهر أنها من أسرار الله - تعالى - فقد

حين موتها»، والذين تتوفاهم الملائكة طيبين»، وما أشبه ذلك، فمرة يجعل الفعل لنفسه، ومرة لملك الموت، ومرة للملائكة... .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: سبح قدوس ربّ الملائكة والروح، تبارك وتعالى، هو الحيّ الدائم، القائم على كل نفس بما كسبت، هات أيضاً ما شككت فيه:

قال: حسبي ما ذكرت ...

قال عليه السلام: فأما قوله: «الله يتوفى الأنفس حين موتها» وقوله: «يتوفاكم ملك الموت، وتوفته رسلنا، والذين تتوفاهم الملائكة طيبين»، والذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم... فهو - تبارك وتعالى - أعظم وأجلّ من أن يتولى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله، لأنهم بأمره يعملون، فاصطفي - جلّ ذكره - من الملائكة رسلاً وسفراًً بينه وبين خلقه وهم الذين قال فيهم: «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس...» فمن

ونحن نقول: إذا دلنا الدليل من كتاب الله - تعالى - أو سنة نبيه ﷺ على أن الله - تعالى - يجري بعض أفعاله بواسطتهم، فنحن نسمع ونطيع، ونعتقد بذلك، وهو عين التوحيد، ونقول لمن يتهمنا: إفهموا التوحيد قبل أن تتهموا الناس بالشرك.

كأن هؤلاء يضعون شرطاً على الله - تعالى - لتوحيده!! وهو أن تكون أفعاله - عز وجل - مباشرة بدون واسطة، أو تكون بواسطة الملائكة دون غيرهم من البشر والمخلوقات.. أما نحن فنوحده - تعالى - بدون شرط، ونقبل أفعاله بأي واسطة أجراها، ونعتقد بأن فعل أمنائه هو فعله على حدّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام..

فأيّ التوحيدين أرقى.. وأعمق؟ - حقاً، إنها فكرة عميقة أسمعها لأول مرّة، نعم، إنّ التوحيد الصحيح هو التوحيد بلا شروط، وإلا لصار الشرط شركاً!..

حسناً.. ماذا يعمل الإمام

بني - سبحانه - أكثر أفعاله على الاسرار، حتى إنه قال لنبيه موسى عن الآخرة: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ (٤)!

- وعلى هذا يحقّ للآخرين أن يتهمونا بأننا نجعل الأنبياء والأئمة شركاء لله تعالى!

- تعالى الله عن ذلك.. لا يحزنك يا صاحبي الذين يتهمون المسلمين بالشرك، وإسألهم:

إذا ثبت بآية أو بحديث صحيح أن الله - تعالى - يجري قسماً من أفعاله بواسطة ملائكته ورسله وأوليائه، فقبلنا ذلك وآمنّا به، هل نكون مشركين؟!

أما قرأت قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٥)؟

يعني: أيها النبي، قل أنا تابع لما يأتيني من ربي، فإذا أخبرني أن له ولداً، وأمري بعبادته، فأنا أول العابدين، لكنه تعالى عن ذلك.

المهدي في المدينة، ومع من يعيش؟  
 - كما يعمل الخضر ويعيش.. أما  
 قرأت قصة موسى والخضر عليه السلام في  
 القرآن؟

العجائب!  
 ولا بد من أن نبيينا صلى الله عليه وسلم قد رأى  
 هذه العجائب!  
 - وما هي هذه العجائب؟

- بلى، وهل يعتقد كل العلماء بأن  
 الخضر ما زال حياً يرزق؟  
 - نعم، فقد وردت الروايات  
 الصحيحة عندنا بأنه ما زال حياً  
 ويقوم بعمله، وثبت ذلك عند أكثر  
 علماء السنة، فقد ذكر في مجموع  
 النووي في مسألة استحباب تعزية  
 أهل الميت بمصائبهم، ذكر استدلال  
 العلماء على ذلك بتعزية الخضر لأهل  
 بيت النبي عند وفاته صلى الله عليه وسلم.

وإدارة الله - تعالى -  
 وربوبيته لنا تشبه كرة الثلج في الماء لا  
 يظهر منها إلا عشرها، بينما تخفي علينا  
 تسعة أعشارها!  
 وكل مرحلة باطنة من  
 إدارته - عز وجل - أعجب من التي  
 قبلها، وأصعب فهماً؛ لأنّها كما يظهر  
 تتم بقوانين ووسائل أعمق من التي  
 قبلها!

وما أدري أين هو موقع نبيينا  
 وآله صلى الله عليه وسلم من هذه المراحل، ولكن  
 أدري أنهم نور الله في الأرض،  
 يجري - عز وجل - على أيديهم ما  
 يشاء من الأفعال.

إقرأ قصة الخضر في القرآن؛  
 لتعرف أنه مأمور من الله - تعالى -  
 بعمليات خاصة إذا صحّ التعبير، وأن  
 نبي الله موسى عليه السلام قد رافقه ليوم أو  
 يومين فرأى منه ما لم يستطع عليه  
 صبراً!

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:  
 رحم الله أخي موسى لقد عجل على  
 العالم، أما إنّه لو صبر عليه لرأى منه  
 - يعني مثل الرزق والموت  
 والحياة؟

- وما المانع من ذلك؟ هل تريد  
 أن تمنع الله - تعالى - من أن يوكل أحداً  
 بفعل من أفعاله! أو تمنع عطاءه

لأنبيائه؟!)

ما المانع من أن يأمرهم الله - تعالى - بشيء من ذلك، ويعطيهم القدرة عليه، فيفعلونه بأمره وإذنه، لا بأمرهم وقدرتهم؟ فإنما هم عباد مخلوقون ليس لهم من الأمر شيء، ولكنهم ﴿عباد مكرمون﴾ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾<sup>(٦)</sup>.

- وهل يوجد الآن غير الخضر والإمام المهدي مأمورون بهذا النوع من العمليات الخاصة؟

- تقول بعض الروايات:

«قال موسى ﷺ: بينا أنا والخضر على شاطئ البحر، إذ سقط بين أيدينا طائر، فأخذ في منقاره قطرة من ماء البحر، ورمى بها نحو المشرق، وأخذ منه ثانية، ورمى بها نحو المغرب، ثم أخذ ثالثة ورمى بها نحو السماء، ثم أخذ رابعة ورمى بها نحو الأرض، ثم أخذ خامسة وألقاها في البحر، فبهتت أنا والخضر من ذلك وسألته عنه؟ فقال: لا أعلم.

بينما نحن كذلك فإذا صياد يصيد في البحر، نظر إلينا وقال: ما لي أراكما في فكرة من أمر هذا الطائر؟ فقلنا له: هو ذاك. فقال: أنا رجل صياد وقد علمت إشارته، وأنتما نبيان لا تعلمان؟! فقلنا: ما نعلم إلا ما علمنا الله عز وجل».

من هذه الرواية وأمثالها نعرف أن الله - تعالى - أولياء معتمدين متعددين يجري ما يريد من أفعال بواسطتهم، وقد قال عز وجل: ﴿والله جنود السماوات والأرض﴾<sup>(٧)</sup> وقال: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾<sup>(٨)</sup>!

ولكن يبقى للإمام المهدي ﷺ موقعه المميز في جنود الله - تعالى - وأوليائه.

فإن الأحاديث الثابتة تقول: إن مسألة النبي وأهل بيته مسألة مميزة من الأساس، وأن الله - تعالى - قد خلق نور محمد وأهل بيته قبل أن يخلق آدم وينفخ فيه من روحه!

كنت رأيت هذه النصوص في مصادرنا، ثم رأيتها في مصادر إخواننا



السنة، وفي مؤلفات بعض المؤلفين الذين يحاولون التقليل من أهمية أهل البيت ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً!

وأخيراً قرأت ذلك عند المسعودي في مقدمة تأريخه «مروج الذهب»، حيث تحدّث - على عادة المؤرخين - عن بداية خلق العالم، وأورد حديث خلق النور المحمدي قبل خلق آدم، ممّا يدلّ على أنّ هذه النصوص كانت معروفة عند المؤرخين أيضاً!

قال المسعودي<sup>(٩)</sup> «فهذا ما روي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه:

إنّ الله حين شاء تقدير الخليفة، وذراً البريّة، وإبداع المبدعات، نصب الخلق في صور الهباء قبل دحو الأرض ورفع السماء، وهو في انفراد ملكوته وتوحد جبروته فأتاح (فأساح) نوراً من نوره فلمع، و [نزع]

قبساً من ضيائه فسطع، ثمّ اجتمع النور في وسط تلك الصور الخفيّة فوافق ذلك صورة نبيّنا محمد ﷺ، فقال الله عزّ من قائل: أنت المختار المنتخب، وعندك مستودع نوري وكنوز هدايتي، من أجلك أسطح البطحاء، وأمرج الماء، وأرفع السماء، وأجعل الثواب والعقاب والجنّة والنار، وأنصب أهل بيتك للهداية، وأوتيتهم من مكنون علمي ما لا يشكل عليهم دقيق ولا يعيهم خفي، وأجعلهم حجّتي على بريّتي... ثمّ أنشأ الله الملائكة من أنوار أبدعها، وأرواح اخترعها، وقرن بتوحيده نبوّة محمد ﷺ، فشمرت في السماء قبل بعثته في الأرض، فلمّا خلق آدم أبان فضله للملائكة، وأراهم ما خصّه به من سابق العلم من حيث عرفه عند استنبائه إياه أسماء الأشياء، فجعل الله آدم محرّاباً وكعبة وباباً وقبلةً أسجد إليها الأبرار والروحانيين الأنوار، ثمّ نبّه آدم على مستودعه، وكشف له [عن] خطر ما أتمنّه عليه»<sup>(١٠)</sup>.

وشبيهه به في تذكرة الخواص  
لابن الجوزي الحنبلي!)<sup>(١١)</sup>  
إسمع يا مرتضى! إن الله تعالى  
يقول:

﴿أم يحسدون الناس على ما  
آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل  
إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم  
ملكاً عظيماً﴾<sup>(١٢)</sup>.

ويقول عن الخضر: ﴿آتيناه  
رحمةً من عندنا وعلمناه من لدنا  
علماً﴾<sup>(١٣)</sup>.

- ولكن هل تعتقد أن  
الله - تعالى - أعطى الخضر وآل  
إبراهيم أكثر مما أعطى محمداً وآل  
محمد؟

كلاً، ولكنّه - تعالى - لم يصرّح  
بذلك في القرآن؛ لأنّ أمة النبيّ وأمم  
العالم لا يتحمّلون تفضيل محمد  
وعترته إلى هذا الحدّ إلى يوم القيامة..!  
وقد رأينا أنهم لم يتحمّلوا ما هو  
أقل من ذلك، وأنهم عاملوا أهل بيت  
النبيّ بأسوأ ما تعامل الحكومات  
الاسر المنافسة لها!

الخضر يا صاحبي مكلف بما  
يؤمر به من علم الباطن، وموسى  
مكلف بما يؤمر به من علم الظاهر،  
ونبيّنا وأمتنا مكلفون بما يؤمرون به  
من علم الظاهر والباطن!

- وهل يعقل أن يكون إنسان  
واحد مكلفاً بعلم الظاهر والباطن معاً!  
إنّ علم الظاهر والباطن لم يستطيعا أن  
يتعايشا معاً لمدة قصيرة في قصّة  
موسى والخضر، حتى قال له الخضر:  
﴿هذا فراق بيني وبينك﴾<sup>(١٤)</sup>!

- أسألك يا أخ مرتضى: هل  
يمكن أن يكون في جيبك مال وتحتاج  
إلى إنفاقه ولا تنفقه؟

- نعم يمكن، ولكن هل هذا مثل  
أن يعلم الإنسان علم الباطن ولكنه  
يعمل بعلم الظاهر؟

- نعم هذا شبيهه به، ولكن أسألك  
سؤالاً آخر: هل يمكنك أن تكون على  
علم بأن صديقك فلاناً سوف يموت في  
هذه السنة ولا ترتّب على علمك بذلك  
أثراً أبداً؟

وهل يمكنك أن تصبر على

كان يجلس طويلاً متفكراً، أو يقرأ القرآن.. أو يذكر الله تعالى.. رأيته يوماً جالساً في المسجد.. فجلست إليه وقلت له: حدثني يا مرتضى عن عالمك، بماذا تفكر؟ - بل أنت حدثني عن تنزل الملائكة في ليلة القدر، وما هو البرنامج الذي يأتون به إلى صاحب الأمر روي فداه؟ - وما علمي بذلك يا مرتضى.. الذي أعرفه من ذلك قوله تعالى: ﴿تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ وقد ورد في الرواية أن عمر بن الخطاب سأل النبي ﷺ لماذا يرق قلبه عندما يقرأ هذه السورة أكثر مما يرق لغيرها؟ فأعاد النبي قراءتها حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ثم قال لعمر: وهل بقي بعد هذا شيء، قال: كلا. وهذا الحديث يدل على تنوع الأوامر والأمر النازلة في ليلة القدر على قلب رسول الله ﷺ، أو على قلب حجة الله في أرضه!

عداوة عدوك، وأنت تستطيع أن تدعو الله عليه فيستجيب دعاءك ويهلكه؟ قصدي من هذه الأسئلة أنك إذا ملكت وسائل وأسباباً غير عادية، أو قدرة على صنع المعجزة، هل تستطيع أن تعيش بالأسباب العادية والقوانين المادية الطبيعية؟ - لا أظن أنني أستطيع ذلك، ولذا أقول: إنه لا يمكن للإنسان أن يجمع بين علم الباطن والعمل بعلم الظاهر. - أمّا نبيّنا وأهل بيته فيمكنهم ذلك بمعونة الله - تعالى - وعصمته، وهذا هو الفرق بينهم وبيننا!! قم بنا يا صاحبي فقد طال بنا الجلوس...

\*\*\*

من ذلك اليوم لم يعفني صاحبي من أسئلته واستفهاماته عن مكانة الإمام المهدي عند الله تعالى، وعن معيشته وعمله... وكان ذلك صار شغله الشاغل! و صار الجلوس في المسجد عند جدار البقيع لمدة طويلة محبباً إليه..

وقد وردت روايات عن الأئمة الطاهرين تؤكد هذا المعنى، وتذكر بعض التفاصيل.

- إنَّها مسألة كبيرة، وقد وصلت إلى أن ترك التفكير فيها أولى، أليس كذلك؟

- التفكير يوصلنا إلى معرفة أشياء كثيرة، ولكن ما ينزل في ليلة القدر لا يمكن معرفته بالتفكير فيه، ولا نحن مكلفون بذلك.. إنَّما يجب علينا أن نؤمن بقوله تعالى: ﴿تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ على عمومته وإجماله.

- فكَّرت في هؤلاء الثلاثين الذين يلتقي بهم صاحب الأمر -روحي فداه- فوصلت إلى أنَّه قد يعطي كلَّ واحد منهم قسماً من برنامج السنة ويأمره بتنفيذه، أليس كذلك؟

- هذا محتمل، كما يحتمل أن تنزل طريقة تنفيذ البرنامج مع البرنامج نفسه، فلا يمكننا أيضاً أن نعرف بالتفكير طريقة عمل الإمام المهدي

أرواحنا فداه.

- لقد فكَّرت في قصة الخضر في القرآن فرأيت أن محور أعماله هو مساعدة المؤمنين وخدمتهم في أمور معيشتهم، مثل أصحاب السفينة الذين خلَّص سفينتهم من المصادرة، والغلامين اللذين حفظ لهما كنزهما، كما قام لدفع الضرر والضلال عن والدي الغلام الشرير.

كما فهمت من قصَّة الخضر ﷺ أنَّه شخص متجوِّول وليس مقيماً في مكان واحد. فقد ركب في السفينة وقصد قرية واحدة أو عدَّة قرى، وكان له في كلِّ مكان هدف وعمل.

وعلى هذا يمكن أن نقول: إنَّ أعمال صاحب الأمر وجماعته -روحي فداه وفداهم- تدور حول خدمة المؤمنين مادياً ومعنوياً، وأنهم متحرِّكون لا يقيمون في مكان واحد.

- نعم هو كذلك، وقد ورد في كنز الغلامين أنه كان لوحاً من ذهب، وقد كتب عليه العلم والحكمة، فتكون خدمة الخضر لهما خدمة في أمر

معيشتهما وفي هدايتهما معاً.  
 - إذن ما معنى الرواية التي تقول:  
 إنهم يقيمون في المدينة؟!  
 - المدينة مقرّ إقامتهم، ولا يمنع  
 ذلك من تحركهم وتجوّلهم.  
 وتركت صاحبي جالساً في  
 مسجد النبي ﷺ يتمم بذكر الله - تعالى،  
 ويتأمل في مقام النبي وآله.

### الهوامش :

- (١) النور: ٣٥ - ٣٧.
- (٢) الدر المنثور ٥ : ٥٠.
- (٣) الواقعة: ٧٥ - ٧٧.
- (٤) طه: ١٥.
- (٥) الزخرف: ٨١ - ٨٢.
- (٦) الأنبياء: ٢٦ - ٢٧.
- (٧) الفتح: ٤، ٧.
- (٨) المدثر: ٣١.
- (٩) في المجلد الأول من تاريخه: ص ٢٢.
- (١٠) مروج الذهب ١: ٢٢.
- (١١) تذكرة الخواص: ١٢٨ - ١٣٠.
- (١٢) النساء: ٥٤.
- (١٣) الكهف: ٦٥.
- (١٤) الكهف: ٧٨.